الهدوء أم حرب العشر سنوات ؟

إن النظرية التقليدية التي سادت منطقتنا طويلا كانت الافتراض بأن السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط (في البلاد العربية والإسلامية) تسعى إلى الاستقرار والهدوء ، على أساس أن إشاعة الاستقرار والهدوء فيها هو هدف السياسة الأمريكية ، لأنه يؤمن لها مصالحها ، وعلى أساس أن تلك المصالح تتمثل في استمرار إمدادات النفط من الخليج إلى الولايات المتحدة . وقد سمعت كلاما قائما على النظرية التقليدية في الأسبوع الماضي يقوله وطني يساري قيادي مشهود له بالوعي..ويقوله بلهجة من يلقي للمستمعين بحقيقة بديهية ثابتة !

والاعتقاد بأن الأمريكيين يهدفون إلى التهدئة والاستقرار كان صحيحا في الخمسينيات والستينيات حتى السبعينيات من القرن الماضي . ولكن الحال بدأ يختلف في الثمانينيات بعدما نجح هنري كيسنجر وزير خارجية أمريكا في عهد ريشارد نيكسون بدفع حكومة الولايات المتحدة إلى تنفيذ فكرته بإنشاء قوات التدخل السريع المخصصة والمدربة على العمل في الخليج . ثم اختلف الحال اختلافا تاما بعدما استوطنت القواعد الأمريكية والأساطيل الأمريكية أراضي شبه الجزيرة العربية وتربعت فوق آبار النفط . وبذلك تحقق للأمريكيين تأمين مصالحهم وضمان تدفق النفط ما دامت القوات الأمريكية بنفسها تسيطر على الأجواء والأراضي والبحار . ولا ضرورة للإفاضة فيما أضافه احتلال العراق وإقامة خمس قواعد عسكرية أمريكية فيها من دعم للقواعد الأخرى في طول الجزيرة العربية وعرضها .

وتؤشر ظواهر الحال إلى أن حرب السنوات العشر القادمة لا تدع مجالا للاستقرار والهدوء في المنطقة ، إلا إذا لم يجد الأمريكيون أية مقاومة أمامهم فاكتسحوا جميع المواقع ونفذوا جميع الأغراض بهدوء وصمت ، وذلك ما يشك فيه المرء كثيرا ، لأن قائمة الأغراض التي حددها الأمريكيون لأنفسهم في حربهم ضد ما دعوه الإرهاب حسب هواهم ، لا يتوقف عند حدود تعيين الحكام وعزل الحكام وتعديل مسار الحكام بل يتعدى إلى تغيير حدود الأقاليم والأقطار ورسم مناهج التعليم والترويج للثقافة التي يريدون وجعل صفحات من القرآن الكريم مناطق مهجورة يمنع الدخول إليها !!. وإذا

لم نكن من الذين يسهل عليهم خداع أنفسهم فإننا لا نفهم تأسيس القواعد العسكرية المشار إليها في العراق إلا على أنه من قبيل الحشد لتلك الحرب ، ولا نكاد نفهم طمأنة الرئيس بوش للمنطقة من خلال زيارته إياها اليوم إلا بكون ذلك نوعا من تحييد قوى لأجل استفراد قوى أخرى والفتك بها في عزلة عن الآخرين .

من هنا نقول إن التعاطي مع هذه التطورات في المنطقة والعالم يجب أن يكون مصحوبا بأشد درجات الحذر .